المحاضرة الثالثة:

النظرية البنائية في العلاقات الدولية:

ثالثا: البنائية و نهاية الحرب الباردة:

مثلت نهاية الحرب الباردة التحد الأساسي الذي واجهته المنظورات السابقة في إطار الواقعية و اللبرالية، حيث شكلت عقبة فشل أمام هذه النظريات خاصة النظرية الواقعية باتجاهيها الكلاسيكي و الجديد، في التنبؤ بنهاية هذه الحرب بطريقة سلمية. لأن الواقعية والليبرالية أخفقتا في استباق هذا الحدث كما أنهما وجدتا صعوبة كبيرة في تفسيره.

بالمقابل برزت التحليلات البنائية في هذا الإطار من خلال تسليطها الضوء على دور الأبعاد الاجتماعية و الظروف الداخلية التي عايشها الاتحاد السوفياتي و تغير الخطاب و التوجهات السياسية لميخائيل غورباتشوف في السياسة الخارجية السوفيتية باعتناقه أفكارا جديدة أدت في النهاية سقوط الاتحاد، و هو ما اثبت نظريا القدرة التفسيرية للنظرية البنائية مقارنة بباقي المنظورات.

و من الناحية الواقعية (العملية) تميزت فترة نهاية الحرب الباردة و ما تلاها بمجموعة من التحولات التي أدت إلى التأكيد على صدقية التحليلات البنائية من بينها:

- تقلص سيادة الدولة مقابل تحلل و تراجع الحدود الوطنية في إطار العولمة خصوصا في ظل ثورة الاتصالات و المعلوماتية.
- بروز قضايا جديدة على مستوى أجندة السياسة العالمية وخاصة صعود البعد الثقافي و قضايا الهوية في العلاقات الدولية، و تركيز الاهتمام الدولي حول هذه القضايا.
- بروز قضايا الأقليات، والإرهاب والتنظيمات الإرهابية و اعتبارها كفواعل هامة في السياسة الدولية في هذه المرحلة.

كل هذه المتغيرات و الظروف أدت إلى التأكيد على مصداقية الطرح البنائية الذي يدعو إلى الاهتمام بالجوانب الثقافية و الهوياتية التي لم تؤخذ في الحسبان من قبل المنظورات السابقة. و يعتقد **الكسندر واندت** هنا أن الأخذ بالتحليلات المادية خصوصا بالنسبة للواقعيين لن تمكننا من التفسير الحقيقي لسلوك الدولة في النظام الدولي، ففي النظام الدولي أين تتشارك مجموعة من الدول هوية مشتركة لن تهتم بالتوزيع المادي للقوة فيما بينها (في إطار توازن القوى) بل بالمقابل لذلك ستهتم بالمخاطر التي قد تهدد هويتها المشتركة و يقول هنا:**"الدول توازن المخاطر و ليس القوة"states balance against threats not power**.

رابعا: الافتراضات الأساسية للنظرية البنائية:

رغم اختلاف البنائيين و توجهاتهم إلا انه يمكن تحديد مجموعة من الافتراضات الأساسية المشتركة بينهم و هي:

- أن الظواهر الاجتماعية بما فيها المجتمع، الدولة، النظم الدولية... في إطار العلاقات الدولية هي في أصلها نتاج للطبيعة البشرية لكنها تأخذ أشكالا سياسية و تاريخية و ثقافية معينة تبعا لنمط التفاعلات البشرية في إطارها الاجتماعي.
- إلى جانب ذلك يعتقد البنائيون أن الأفراد يشكلون المجتمع و المجتمع يشكل و يصنع الناس أي أنها عملية متبادلة بين المجتمع والأفراد و التي تعد محور اهتمام البنائية.
- ولدت هذه الافتراضات ما يسمى "**Agent Structure Debate** أو بالجدل بين " **الفاعل و البنية"**، فالبنائية تأخذ من النظريات الوضعية افتراضها عن الدولة كفاعل يسعى لتحقيق مصلحته الوطنية لكن الاختلاف هنا حول طبيعة و أصل المصلحة، فبالنسبة لواندت المصلحة الوطنية تتحدد بناء على هوية الفاعل، و الهوية تتحدد من خلال التفاعل بين الفاعل والبناء. فالنقطة الأساسية هنا أن البنائية تركز على الهوية و القيم و الأفكار، وهذا ما يجمعها مع التيارات النقدية.
- كما يعتقد البنائيون أن بنية النظام الدولي تتألف من قسمين :**القسم الأول** هو المادي الذي يتكون من توزيع القوى بين الدول، أما **القسم الثاني**: فهو البناء الاجتماعي المكون من القواعد والأعراف والقوانين التي تطبقها الدول، والجزء الثاني هو الأهم بالنسبة إلى البنائيين.

المحاضرة الرابعة:

النظرية البنائية في العلاقات الدولية:

<u>خامسا: التحليل البنائي عند الكسندر ويندت:</u>

لخص ويندت إسهاماته حول البنائية في مجموعة من الدراسات: فطرح سنة 1987 دراسة بعنوان " **the agent structure problem in international relations theory**" الذي طرح من خلاله الجدل الحاصل حسب البنائيين بين مفهوم الفاعل و البنية اللذان يعتبران مفهومين مرتبطين بالتحليلات البنائية، و قد انتقد واندت هنا تحليلات والتز حول بنية النظام الدولي كموجه لسلوك الدولة و قد ذهب إلى ابعد من ذلك حيث اعتبر أن البنية تعمل على تشكيل و توجيه هويات و مصالح الدول. إلى جانب ذلك افترض أن المجتمع يتشكل وفقا لطبيعة التفاعلات الاجتماعية التي تربط بين أفراده، و أن هذه التفاعلات بدورها هي من تحدد البنية الاجتماعية العامة للمجتمع و توجه تطوراته.

و في دراسته بعنوان" **Anarchy is What States Make of It: The Social Construction of Power Politics** الفوضى ما تصنعها الدول سنة 1992 أشار من خلالها وندت إلى أن الفوضى التي تعني غياب السلطة المركزية عن النظام الدولي أو حالة الاعتماد على الذات في الأمن هي عبارة عن رؤية ناتجة عن عملية تفاعل اجتماعي أنتجتها الممارسات التي قام

بها الفاعلون في النظام الدولي والتي أثرت وتأثرت بالوقت نفسه في بنية هذا النظام. بمعنى آخر فإن رؤية الدول لطبيعة النظام الدولي والنتائج المترتبة على هذه الطبيعة هي نتاج عمليات وعلاقات اجتماعية بين الوحدات الفاعلة، وهي الدول وتفاعلها مع بنية النظام الدولي, إن الاناركي(غياب السلطة المركزية) تعني مايراها الفاعلون، وهذه الرؤية ليست ثابتة وبشكل معطى سواء إيجابية أم سلبية، بل هي ناتجة عن العلاقات الاجتماعية وعمليات التفاعل بين الوحدات بعضها بعضاً والوحدات و البناء.

و في وقت لاحق وضع ويندت مؤلفه بعنوان **"النظرية الاجتماعية في السياسة الدولية"** حاول من خلاله تقديم شرح أكثر حول تحليلاته البنائية متأثرا في ذلك بأفكار كينيث وولتز في إطار الواقعية الجديدة. حيث حاول من خلالها شرح تصوره الخاص حول كيفية تحليل العلاقات الدولية من منظور اجتماعي باعتبار أن الدول التي يعتبرها الفاعل الأساسي في العلاقات الدولية تتصرف عن طريق أشخاص طبيعيين، و أن أهم عامل يؤثر على سلوك هذه الدول هو الأفكار و الهويات التي تتشكل وفقا للتطور التاريخي و الاجتماعي لها. و يمكن تلخيص أهم الأفكار التي تميز بها الكسندر واندت في طرحه البنائي في مجموعة من النقاط الأساسية:

1. **أهمية الأفكار إلى جانب العناصر المادية في تشكيل البنيات:** حيث يفترض هنا أن **البنية** تحدد سلوك الفاعلين في العلاقات الدولية، و البنية تشمل كل من العناصر المادية و القيمية المعيارية، وهم بخلاف الواقعية التي تركز على البنية المادية لتوزيع القوى، والماركسية في البنية المادية للنظام الرأسمالي العالمي، فالبنية حسب وندت لها خصائص غير مادية بدورها تؤثر على سلوك الفاعلين في العلاقات الدولية. و يقول هنا أن البنية تعتمد على الأفكار المشتركة أكثر من العوامل المادية.

   « the structures of human association are determined primarily by shared ideas rather than material forces »

   و يستشهد هنا بالعلاقات بين كل من الولايات المتحدة الأمريكية و كندا و كوبا، حيث أن توازن القوى العسكري الذي يؤمن به الواقعيون غير قادر على تفسير كون كندا حليف لأميركا(باعتبارها منافسا في القوة العسكرية) في حين تصبح كوبا عدوا (دولة ضعيفة عسكريا) و بالتالي تصبح الأفكار و الإيديولوجيات هي الموجه و المحدد لطبيعة هذه العلاقات.

لكن تركيز وندت على الجانب الاجتماعي من البناء لا يعني أنه ينفي أهمية دور الجانب المادي للبناء أو يلغيه في تحديد سلوك الدول، بل على العكس هو يرى أن هذا الجانب مهم بالنسبة للفاعل.

2. **دور الهويات و تأثيرها على سلوكات الوحدات و مصالحها:** حيث يرى واندت أن سلوكات الفاعلين و مصالحهم الوطنية تتأثر بشكل مباشر بهوياتهم الوطنية حيث أن المصلحة الوطنية التي تتصرف باسمها الدولة تتحدد وفقا لطبيعة الهوية و الأفكار و القيم الخاصة بها أكثر من تأثرها بالعوامل المادية. حيث أن البنية غير المادية تؤثر على هوية الفاعلين وهي بدورها تعيد تشكيل المصالح على أساسها، وبالتالي سلوكاتها فيما بعد، لذا يرى ألكسندر وندت أن**"الهويات هي أساس المصالح"**.
3. **التداخل بين البنية Structure و الفاعلAgent** : و بالبنية المقصودة هنا هي بنية النظام الدولي التي يشترك الكسندر واندت في توصيفها إلى جانب الواقعيين و اللبراليين بكونها بنية

فوضوية (نظام دولي فوضوي يتميز بغياب سلطة مركزية تتحكم فيه)، لكنه بالمقابل يعتبر أن هذه الفوضى هي ناتجة أساسا عن ممارسات الفاعلين أنفسهم و الذين يوجهون و يتحكمون (حسب مصالحهم و هوياتهم) في هذه البنية الفوضوية، و بالتالي يساهمون في تشكيل و إنتاج هذه الفوضوية.

ثقافة الفوضى عند الكسندر واندت:

العالم حسب واندت هو نتاج ما نفعله نحن فلا وجود للحتمية و بتعبيره فالفوضى إذا هي **نتاج ما تصنعه الدول** و ليست **قانونا و معطى** مسبق، Anarchy is what state make of it. فالنظام الدولي السائد خلال الحرب الباردة ميزته الفوضوية بفعل تصور و إدراك الأطراف لها (تذاتانية) و بمجرد تحول هذا التصور بفعل أفكار جديدة زالت بنية الفوضى داخل النظام.

و في هذا الإطار يقول واندت أن البنية الفوصوية حسب التحليل الواقعي تفترض أن الدولة تتصرف ضمن نظام الأمن الذاتي self-help system و الذي يؤدي إلى بروز التنافس العسكري، ميزان القوى و الحرب، لكنه يفترض بالمقابل أن الفوضى يمكنها أن تفرز ثلاث أشكال من البنى الدولية و هي البنية الهوبزية، البنية اللوكية، و البنية الكانطية Hobbesian, Lockean, and Kantian structures,.

و تختلف هذه البنى حسب طبيعة الثقافة السياسية لكل دولة و نظرتها للحلفاء و الاعداء في السياسة الدولية و يميز هنا بين ثلاثة أنواع من الثقافات او الرؤى السياسية **cultures of anarchy** : على النحو التالي:

1-**النظرة" الهوبزية" Hobbsean**: نسبة إلى توماس هوبز و تتسم هذه الرؤية بأنها تنسجم و تتطابق مع الرؤية الواقعية الجديدة لبنية النظام الدولي التي ترى أن غياب السلطة المركزية من النظام الدولي يجعل الدول تعيش في حالة عدم وضوح و خوف من تزايد قوة أي دولة أخرى؛ ولذلك تسعى كل دولة إلى زيادة قوتها الذاتية التي تقود إلى نظام" **الاعتماد على الذات Self-help** " وهذا يقود إلى نوع من سباق التسلح وسلسلة من الإجراءات المتتالية السياسات التي تقود إلى صراع الكل ضد الكل **war of all against all '**

2-النظرة الثانية يسميها" اللوكية Lockean "نسبة إلى جون لوك و تحتل هذه الرؤية موقع الوسط بين الرؤى الثلاث، إذ تستند إلى الفلسفة السياسية لجان لوك الذي يعد الدولة وحدة فاعلة مستقلة في ظل غياب السلطة المركزية من النظام الدولي، وهذه الدول تتنافس و تتصارع من أجل تحقيق مصالحها، ولكن هذا التنافس يكون من خلال مجموعة من القواعد المتفق عليها بين الدول.

3-**أما النظرة الثالثة فهي" الكانتية " Kantian** نسبة إلى إمانويل كانط تعتمد هذه الرؤية على أفكار الفيلسوف الألماني إمانويل كانت الذي يرى أن النظام الدولي يشكل مجتمعاً أو نظاماً عالمياً فيه قيم مشتركة مقبولة من الوحدات جميعها . و العالم بكامله هو موطن للإنسانية فهو لا يرى أن غياب السلطة المركزية تعني الصراع والعيش بشريعة الغاب.

من الواضح أنه في حال تبني الفاعل أو الدولة للرؤية **الأولى**، وهي أقرب إلى الواقعية الجديدة تنظر الدول إلى النظام الدولي على أنه فوضوي تحكمه شريعة الغاب، والقوي يفعل ما تمنحه قوته والضعيف يقبل ما تفرضه القوى الأخرى عليه. وبالمقابل إذا كان الفاعل يتبنى **الرؤية الثانية** التي

تعتمد الفكر الليبرالي لجون لوك، فهذا يعني أن الفاعل يرى أن بنية النظام الدولي تقود إلى التعاون واحترام القانون الدولي والشرعية الدولية، وأن الدول من مصلحتها أن تطبق القانون الدولي وتتعاون لحل التحديات المشتركة. **أما النظرة الثالثة** التي تنظر إلى العلاقات الدولية بأنها عالمية وترى ضرورة وجود حكومة عالمية كالحكومة المحلية فلا تتفق والنظرة الواقعية بحتمية الصراع بين الدول.